عتبات الأسلوبية ومسارب التأويل

"قراءة في معجم البابطين لشعراء القرنين التاسع عشر والعشرين"

Seuils et voies d'interprétation stylistique
Lire dans un dictionnaire poètes Babtain des XIXe et XXe

د: نهى حمدي أحمد ابراهيم

جمهورية مصر العربية

الملخص:

تهدف هذه القراءة إلى محاورة جملة من مدونات شعر الثورة الجزائرية للشعراء الجزائريين الذين ضمهم " معجم البابطين لشعراء القرنين التاسع عشر والعشرين"، ولن تقف الدراسة عند حدود الشعر الذي ضمه المعجم بين دفتيه لهؤلاء الشعراء، وإنما ستحاول جاهدة أن تستقرئ جملةً من النصوص التي وردت في دواوين أولئك الشعراء، والوقوف على عتبات الدرس الأسلوبي السالف ذكرها التي حققت لتلك النصوص فنيتها وفرادتها، محاوِلةً اكتناه تلك البنى الأسلوبية التي تعتمل في الجملة، وصولًا إلى تلك البنى الأسلوبية الكلية التي تنتظم عبر تلك النصوص، وتأخذ بتلابيبها محققةً فنيتها وتمايزها، عبر سلسلةٍ من الإجراءات الأسلوبية التي تتموقع تحت مظلة التحليل الأسلوبي البنيوي.

الكلمات المفتاحية: البنى الأسلوبية/ مدونات الثورة الجزائرية/ معجم البابطين لشعراء القرنين.

résumé

Le but de cette lecture à un dialogue avec un certain nombre de codes des poètes révolution algériens algériens qui les incluent dans les «poètes Lexicon Babtain du dix-neuvième et vingtième," va étudier les stands à un limites de cheveux, qui a été annexé le dictionnaire d'une couverture à ces poètes, mais va essayer dur pour Tstqri une série de textes qui est apparu dans les collections ces poètes, debout sur le seuil de la stylistique de leçon mentionné ci-dessus celle obtenue pour les textes Ffinetha et le caractère

unique, en essayant un aperçu des structures stylistiques qui couvaient dans la phrase, menant à la stylistique de l'infrastructure globale, qui sont organisées à travers ces textes, prendre Ptlabebha latente Ffinetha et la différenciation, à travers une série de procédures stylistiques Taatmouka que dans le cadre de l'analyse structurale stylistique.

يعد الأدب هو الرحم الثر الذي تحدرت منه كينوناتنا وثقافاتنا ومعرفتنا بالحياة، وتفرعت عنه نوازعنا وفلسفاتنا ورؤيتنا لذواتنا، وقد كان الأدب في كل عصوره وبيئاته يمثل- في كثيرٍ من الأحايين مرآةً صادقة تتكشف فيها طبائعنا وأزماتنا، وتتجلى فيها حقيقتنا وإمكانياتنا. وينبع الأدب في كل بيئة من تلك الرؤية الشمولية لأحداث العصر وتطوراته.

وقد اختلف نقاد العربية في عد الشعر هو المرآة الفريدة التي تنجلي فيها طبائع العصور والشخوص ونفسياتهم وأزماتهم، فالشعر الجاهلي على سبيل المثال وليس الحصر قد عده عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين نافذة جزئية تتكشف بها طبيعة ذلك العصر السحيق، وتابعه في نظرته النقدية المستشرق مرجليوث الذي تشكك في الشعر الجاهلي وأثار بقولته زوبعة نقدية لم تنته آثارها،

ومن ثم فإن الشعر العربي القديم لا يحمل بين دفتيه رؤيةً صادقة لطبيعة تلك العصور التي تفجر في غضونها.

وقد عنيت المعاجم الشعرية في عصرنا الحاضر بحصر تلك النتاجات الأدبية الثرة التي فاضت بها قرائح شعراء الثورة الجزائرية المجيدة، وقد شكلت تلك الكتابات الشعرية زخمًا شعوريًا يفيض بحب الوطن والدفاع عنه والانتماء البالغ إليه.

ولعل من بين أبرز تلك المعاجم الشعرية التي عرضت لتلك النتاجات الأدبية الثرة الفياضة في جميع أقطار وطننا العربي، وفي مقدمتها الجزائر هو "معجم البابطين لشعراء القرنين التاسع عشر والعشرين" Lexicon Babtain الذي يعد موسوعة شعرية فريدة دشنت حصرًا دقيقًا بالغ الأهمية في تسجيل تراثنا الثقافي والشعري في تلك الحقبة الزمنية التي تمتد على مدار قرنين كاملين من الزمان.

وقد عالج ذلك المعجم السالف النتاج الشعري لعددٍ وافرٍ من شعراء الجزائر، الذين أثروا المشهد الجزائري الثقافي بأصواتٍ شعريةٍ ثرةٍ صدحت بأمانيها وآمالها،

ودشنت رؤيتها وغاياتها، وتأتي الثورة الجزائرية في مقدمة تلك الأحداث التي تطفو على الشعور الجمعي العربي آنذاك، وقد تغلغت في نفوس وكيانات العرب بأجمعهم، فأنتجت قرائحهم أعذب القصائد وأقواها أثرًا في النفوس، وصارت تلك النتاجات الأدبية تمثل ملحمةً فريدةً تشهد بجدارة ذلك الشعب الجزائري الأبي وفرادته وبسالته وشموخه.

وقد وقع بعض من ترجم لهم المعجم الشعري في ذلك الإهاب الزمني الذي عاصر مشهد الثورة الجزائرية وما بعدها، الأمر الذي يعد به ذلك المعجم الشعري مادة رصينةً ثرةً لمعالجة أدبيات ذلك المشهد الثوري البالغ القيمة والأثر في تاريخ أمتنا العربية.

وقد عالج المعجم الشعري السالف النتاج الشعري لعدد وافر من شعراء الجزائر، الذين أثروا المشهد الجزائري الثقافي بأصواتٍ شعريةٍ ثرةٍ صدحت بأمانيها وآمالها، ودشنت رؤيتها وغاياتها، وتأتي الثورة الجزائرية في مقدمة تلك الأحداث التي تطفو على الشعور الجمعي العربي آنذاك، وقد تغلغت في نفوس وكيانات العرب بأجمعهم، فأنتجت قرائحهم أعذب القصائد وأقواها أثرا في النفوس، وصارت تلك النتاجات الأدبية تمثل ملحمة فريدة تشهد بجدارة وفرادة وبسالة ذلك الشعب الجزائري الأبي.

وقد وقع عظم من ترجم لهم المعجم من شعراء الجزائر في ذلك الإهاب الزمني الذي عاصر مشهد الثورة الجزائرية وما بعدها، الأمر الذي يعد به ذلك المعجم الشعري مادة رصينةً ثرةً لمعالجة أدبيات ذلك المشهد الثوري البالغ القيمة والأثر في تاريخ أمتنا العربية.

وقد عنيت المعاجم الشعرية في عصرنا الحاضر بحصر تلك النتاجات الأدبية الثرة التي فاضت بها قرائح شعراء الثورة الجزائرية المجيدة، وقد شكلت تلك الكتابات الشعرية زخمًا شعوريًا يفيض بحب الوطن والدفاع عنه والانتماء البالغ إليه.

وقد عالج المعجم الشعري السالف النتاج الشعري لعدد وافر من شعراء الجزائر، الذين أثروا المشهد الجزائري الثقافي بأصواتٍ شعريةٍ ثرةٍ صدحت بأمانيها وآمالها، ودشنت رؤيتها وغاياتها، وتأتي الثورة الجزائرية في مقدمة تلك الأحداث التي تطفو على الشعور الجمعي العربي آنذاك، وقد تغلغت في نفوس وكيانات العرب بأجمعهم، فأنتجت قرائحهم أعذب القصائد وأقواها أثرا في النفوس، وصارت تلك النتاجات الأدبية تمثل ملحمة فريدة تشهد بجدارة وفرادة وبسالة ذلك الشعب الجزائري الأبي.

وستعرج تلك القراءة على جملة من النصوص الشعرية التي ضمها ذلك المعجم الشعري، محاولةً اكتناه بنيتها من خلال آليات الدرس الأسلوبي الذي ينصرف إلى تحليل تلك المعطيات اللغوية، في صورةٍ مجمعة لتلك الظواهر.

إشكالية البحث:

تهدف هذه القراءة إلى محاورة جملة من مدونات شعر الثورة الجزائرية للشعراء الجزائريين الذين ضمهم " معجم البابطين لشعراء القرنين التاسع عشر والعشرين"، ولن تقف الدراسة عند حدود الشعر الذي ضمه المعجم بين دفتيه لهؤلاء الشعراء، وإنما ستحاول جاهدة أن تستقرئ جملةً من النصوص التي وردت في دواوين أولئك الشعراء، والوقوف على عتبات الدرس الأسلوبي السالف ذكرها التي حققت لتلك النصوص فنيتها وفرادتها، محاوِلةً اكتناه تلك البنى الأسلوبية التي تعتمل في الجملة، وصولًا إلى تلك البنى الأسلوبية الكلية التي تنتظم عبر تلك النصوص، وتأخذ بتلابيبها محققةً فنيتها وتمايزها، عبر سلسلةٍ من الإجراءات الأسلوبية التي تتموقع تحت مظلة التحليل الأسلوبي البنيوي.

أسلوبية الإيقاع rythme Stylistic:

ولعل المتتبع لتلك القصائد التي نسجها الشاعر الجزائري في غضون ثورته المجيدة قد التفحت بهجير الحماس، وتعانق فيها الوزن الشعري مع الغرض الذي نُظمت من أجله، فجاءت تلك القصائد في قالبٍ حِماسي فريد، يفيض بالثورة والقوة والاندفاع، ويعلن في إباء وشموخ عن عزة الشعب الجزائري وبسالته، فالوزن الشعري الذي ضم تلك المدونات قد تقولب في إطار عسكري ثوري متضامنا مع مبدعيه.

لقد وظف الشاعر موسى الأحمدي نويوات تلك الطاقة الإيقاعية الفريدة لبحر الوافر"مفاعلتن مفاعلتن فعولن" التي تنفجر بروح حماسية ثرة في ثنايا القصيدة لتتماشى مع موضوعها، فكأن تلك الثورة التي تتقد في ربوع الجزائر، وكذا في نفوس أهلها تندلع هي الأخرى من بين سطور قصيدته، فنراه يقول:

بنا سار الجزائر بعد ظهر يشق بنا العباب إلى الشمال

وكنت ترى الخضم بدا كزرعٍ تكيفه الرياح لدى استبال

فطورًا لليمين يميل كرها وأخرى لليسار على التوالي

وأخـــرى للجنـــوب وقـــد تـــوارت وراء حصـــــوننا أخـــــت الغـــــزال

لقد استوحى الشاعر الجزائري تلك الروح التي تستعر في ثنايا قصيدته من ذلك النبع الشعري الجاهلي الثر،فالقصيدة ينبجس من ثناياها صوت "عمرو بن كلثوم"، ويندفع عبر أبياتها فورته وثورته العارمة التي أشعلت تلك الحرب الشعواء، فالشاعر الجزائري يتناص مع تلك الحالة التي أطرها مثيله الجاهلي، وانطلقا من خلالها معبرين عن الكرامة والإباء العربي الذي يأبى الضيم والتخاذل ومرارة اليأس والانسحاب.

لقد استعمل الشاعر الجزائري تلك الآليات اللغوية ذاتها التي وظفها عمرو بن كلثوم في معلقته الجاهلية الشهيرة، فقد أورد "نا" الفاعلين في معرض حديثه عن سجايا قومه وحقيقتهم، فتلك الأسد الغاضبة في عرينها قد حطمت قيودها، وأطاحت بغريمها، وأذاقته ويلات الأسى، وسحقت كبريائه.

إن تلك اللحظة الشعورية الحادة قد انفجرت من الوصول لذرى "اليقين" الذي تمكن من نفسيهما، وأرادا إيصاله إلى خصميهما، فعمرو بن كلثوم يقول:

أبـا هنـد فـلا تعجـل علينـا وأنظرنـــــا نخبـــــرك اليقينـــــا

أما شاعرنا الجزائري فيقول:

وظـــــن الشـــــقر أن ال وأنـــــا كالســـــوائم فـــــي الخـــــوال

إن ذلك الدفق الشعوري الحاد الذي أطره الشاعر الجزائري قد انداح بين سطور قصيدته من خلال التناص الفاعل مع أيقونة الحماس والفخر التي شيدها الشاعر الجاهلي. لقد أطر الشاعر الجزائري لمثالية قومه في حالتي السلم والحرب، وقد استدعى جملةً من الأفعال المضارعة على نحو "نصلى/نهد/ نخطف/ نسحق"التي تستحضر حالة الاستنفار والقوة والبأس الذي لا ينتفي أبدا، وتستمر جذوته متقدة مشتعلة.

وينسج الشاعر أحمد الغوالمي على غرار سالفه قصيدةً حماسية فياضة بالمشاعر والحماس على النسق العروضي نفسه" الوافر"، فنراه يقول:

بـــلادي كـــوثر الثـــوار بشـــرى لنـــا بـــالكوثر الثـــوري بشـــرى

لقد كرس إيقاع بحر الوافر"مفاعلتن فاعلتن فعولن" لحالةٍ قصوى من الحركة والقوة والاندفاع، وجسد شعورًا حادًا بذلك الحِماس الذي انفجر في شراييهم وكياناتهم، وتلك السعادة التي اغتذت بها نفوسهم بعد جهادهم للمستعمر.

ولم يكن إيقاع بحر"الوافر" فُرَدَةً في هذا المنوال الشعوري، فالشاعر الجزائري قد استعان ببحر"المتقارب" توصيلًا لشحنته الشعورية المتأججة في كيانه، وتأكيدًا على حصولها في ذاته، فأحمد مفتاح الفماري(ت 1986م) يقول من قصيدته(ثورة نوفمبر):

أيا ربة الحسن ذات الجلال إليك سأروي حديثًا بدا لي

يتيه دلالا وفخرا وحسنا كعقد أنيط بجيد غزال

يقص عليك ملامح قومي بأعدائهم في السياق الموالي

لعل الشاعر الجزائري قد اعتمد في مدوناته على الإيقاع الذي يفيض بالحيوية والدفق، ويعبر عن حالةٍ قصوى من التناغم الحاصل في النفس بعد تغلبهم على ذلك العدو الغاشم، فالشاعر الحفناوي(ت 1965م) يقول من قصيدته الثائر البطل:

طوق السهل والجبل واعتلى مشرف القلل

وأتى المدن والقرى وابتلاها وما وجل

ويؤكد الشاعر بابهون(ت 1992م) على تلك الحالة الشعورية الإيجابية التي انداحت في نفسه من ذكرى الاستقلال من خلال إيقاع بحر"الوافر" الذي يؤطر لحالة قصوى من السعادة والارتياح، فنراه يقول:

سلوت ولست للسلوان أهلا بتشرين المخلد يوم هلا

فخلد للجزائر كل معنى يذكر بالفدا أو تستقلا

ويؤطر الشاعر جلول البدوي(ت 1999م) على شعوره الإيجابي بحدث الاستقلال بعد الثورة المجيدة، فيعمد إلى توظيف إيقاع بحر" الوافر"، فنراه يقول:

أهاب بنا إلى الغمرات ركب جفا وصل المضاجع منه جنب

أثرنا الحرب لم نأل انتقاما وكيف؟ وربعنا غيثٌ ونهب

لقد وظف الشاعر"مفدى زكريا" القافية الساكنة ليحدث حالةً من الثبات والقوة والتجذر في أعماق تلك البلاد الطاهرة الأبية التي تأبى المذلة والهوان، فنراه يقول من قصيدة له بعنوان" أي بني":

هكذا يفعل أبناء الجزائر يا صلاح الدين، في أرض الجزائر

سر إلى الميدان مأمون الخطا وتطوع، في صفوف الجيش ثائر

أنت جندي بساحات الفدا وأنا في ثورة التحرير شاعر

زغردي يا أمه وافتخري فابنك الشهم فدائي مغامر

لقد أحدث حرف الروي الساكن حالة من الثبات والاستقرار والقوة، وأسرى في نفس المتلقي شعورًا حادًّا بالاستبسال في أرض المعركة دفاعًا عن الوطن الأم.

لقد افتن الشاعر الجزائري في تجسيد شعوره المتأجج بثورته من خلال جملة ثرة من الأساليب اللغوية التي اغتذت بها قصائده، والتي كان من بينها"التكرار"، فالتكرار يكرس للمعنى المراد إيصاله، ويكشف من ناحيةٍ أخرى الإيقاع الحاصل في الأبيات، فالشاعر أحمد الغوالمي يلجأ إلى استخدام تلك التقنية التعبيرية للتأكيد على شعوره المتاجج في ثنايا نفسه، وتدعيمًا لحالة النشوة والانتصار على الأعداء، فنراه يقول:

بلادي كوثر الثوار بشرى لنا بالكوثر الثوري بشرى

بلادي يا بلادي أنت نور ونارًا تترك الدخلاء جمرا

فالشاعر ههنا قد عمد إلى تكرار بعض الدوال" بلادي/ بشرى" تأكيدًا منه على حالة النشوة التي اعتملت في نفسه، وقد لجأ الشاعر كذلك إلى تأكيد فعل حصار الشعب الجزائري للعدو من خلال المفعول المطلق المؤكد، فنراه يقول:

يحاصرهم بغابات وشعب وبالأرياف والبلدان حصرا

يقول الشاعر سعدي الطاهر حراث(1981م):

هناك الكنوز هناك المراد هناك علت صيحة للجهاد

إن تكرار اسم الإشارة في البيت يشير إلى أن تلك البقعة هي رحم ثر مكتنز بالخيرات، ولعل ذلك الفيض الذي يستحضره ذلك الدال المكاني يجمع بين شتات متفرقة من الخصال، فتلك البقعة تتحدر منها الكنوز والآمال، وتبثق من أركانها صيحات الجهاد.

لقد وظف الشاعر دال صيحة في صيغة المفرد ليؤكد على حالة الترابط والوحدة بين أبناء ذلك الشعب الأبي، فصيحةٌ واحدةٌ فحسب كفيلة بلم شملهم، وتوحيد صفوفهم وكلمتهم، والوقوف بهم صفا واحدا أمام عدوهم اللدود في ثبات غير مشهود.

لقد ألح الشاعر الجزائري على تلك التفاعيل التي تصطخب بالحركة والحيوية والقوة والحماس، وأجاد في توظيف غير بحرٍ من البحور التي تؤطر لتلك الحالة القصوى من النبض والدفق، فبحر المتقارب كان من بين أكثر البحور دورانا في وصف الشعراء لتجربتهم الثورية.

لقد دون الشاعر الجزائري تلك الصحوة والانتفاضة التي أججت مشاعره وكياناته، وسجلها في دفق شعري فريد جاء على منوال بحر المتقارب، وجاء حرف الروي مؤطرا لحالةٍ قصوى من الثبات والارتكاز بعد حصولهم على استقلالهم، وكأن الشاعر الجزائري يطلق صيحةً مدويةً بحرف قافيته الساكنة التي سبقت بحرف تأسيس تزلزل ال أرض من تحت أقدام العدو، وتخرج أثقال قلوبهم المترعة بالأنين، فالدال الساكنة تدعم ذلك الشعور بالقوة والتحدي.

لقد وظف الشاعر الجزاري حرف الروي المفتوح ليطلق زفرةً حارةً من نفوسهم التي ألهبها الاستعمار البغيض.

لقد وظف الشاعر التكرار في التأكيد على ثراء ذلك الشعب الأبي الأصيل، فنراه يقول:

هم الأنجال قد كرموا جدودا فما اعتنقوا الردى إلا كراما

هم الأبطال إن يلقوا قتالا يبيدوا الخصم أو يلقوا حماما

لقد وظف الشاعر الجزائري عبد الرشيد مصطفاي 1987م) القالب الإيقاعي ذاته في التعبير عن تلك الثورة الحماسية التي اشتعلت في نفوس أهل جلدته، فقاوموا بها المستعمر الغشيم، فراح يصوغ أبياته الحماسية الثائرة على النسق الإيقاعي ذاته لبحر"الوافر–مفاعلتن مفاعلتن فعولن"، لقد حظي ذلك النسق الإيقاعي المائز لبحر الوافر بشعور كثيف بالقوة والآلية والإقدام والتراتبية، التي أوحت بدورها إلى المتلقي بهذه الروح القتالية التي كانت تلك النفوس الطاهرة المدافعة عن حماها مفعمة بها.

لقد وظف الشاعر الجزائري محمد بوزيدي الروي المفتوح في قصيدته لتؤكد بدورها على ذلك النفس الشعري الممتد الذي يعبر عن الفخر.

التقديم والتأخير Passer des retards:

لعل من أوسع الأبواب تصرفًا، وأقواها تأثيرًا في بناء الخطاب هو باب "التقديم والتأخير"، الذي يقول عنه عبد القاهر الجرجاني" هو باب كثير الفوائد جم المحاسن، واسع التصوف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعرًا يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدم فيه شيء وحول اللفظ من مكانٍ إلى مكان"[٠]

لقد دشن الشاعر الجزائري "مفدى زكريا" أروع قصائده في التعبير عن تلك الثورة المجيدة، وقد أورد له المعجم في ترجمته غير قصيدة في هذه الذكرى الخالدة، فنراه يقول:

هذا نوفمبر قم وحي المدفعا واذكر جهادك والسنين الأربعا

واقرأ كتابك للأنام مفصلا تقرأ به الدنيا الحديث الأروعا

إن الشاعر الجزائري قد حشد لهذا الحدث الجلل الذي أراد أن يحتفل به في ذكراه الرابعة جملة من الأساليب اللغوية التي دشنها منذ افتتاح قصيدته، فقد استهلها بالتصريع تأكيدًا على ذلك النغم الإيقاعي الذي يندلع بين سطورها منذ البداية، وتوطيدًا لشعور التناغم والانسجام الذي يعتمل في نفوس هذا الشعب الأبي بعد انتصاره الساحق على المستعمر. ويؤكد الشاعر كذلك على شعور الفخر الذي تمتلئ به نفسه من خلال " التقديم والتأخير"ل" للجار والمجرور(به الدنيا) الذي يوحي بشمولية ذلك الأثر المتفجر من ثورة ذلك الشعب الباسل المجيد.

-**أسلوبية التكرار** répétition Stylistic:

لقد استعمل الشاعر الجزائري "مفدى زكريا" ظاهرة التكرار للتأكيد على التناغم بين ردة فعل الوجود مع شعبه الأبي العظيم، وحصول التوحد التام بينهما في الشعور الحاصل من تلك الثورة العظيمة المجيدة، فنراه يقول:

واقرأ كتابك للأنام مفصلا		تقرأ به الدنيا الحديث الأروعا

ويؤكد الشاعر على ذلك التناغم الحاصل من خلال تفعيل ظاهرة "الجناس الناقص" في ثنايا قصيدته، فنراه يقول:

واصدع بثورتك الزمان وأهله		واقرع بدولتك الورى والمجمعا

إن تلك الأفعال التي صاغها شاعر الثورة المجيدة"مفدى زكريا" جاءت في صيغة الأمر، وقد تحدرت من المجال الدلالي نفسه في الفعلين السالفين" اصدع/ اقرع" الذي زاوج بينهما فيه الجناس الناقص، واتحد المجال الدلالي كذلك للمفعول به في الحالين"الزمان وأهله/ الورى والمجمعا" ليؤكدا بدورهما على حالة الفاعلية والتأثير والقوة التي نجمت عن ذلك الفعل الثوري المجيد.

ويعود الشاعر"مفدى" إلى تفعيل طاقات التكرار للتأكيد على السمو والتفرد الذي اتسمت به "الجزائر"، فنراه يقول:

إن الجزائـــر فـــي الوجـــود رســـالة الشـــــعب حررهـــــا وربـــــك وقعـــــا

إن الجزائـــــر قطعـــــة قدســـــية فـــي الكـــون لحنهـــا الرصـــاص ووقعـــا

ولعل تفعيل الشاعر لطاقات "الجناس" يصل إلى ذروته في البيتين السالفين، فبين(وقعا/ وقعا) جناس تام يصل الشاعر به إلى غايات قصوى من التأكيد على فاعلية الثورة المجيدة في تذليل الصعاب، فالإله يوقع على رسالة ذلك الشعب الأبي العظيم في ثورته المجيدة، والكيانات المادية هي الأخرى تتناغم أصواتها حتى ولو كانت أصوات الرصاص والقنابل المدوية في أسماع هؤلاء الثوار لتؤكد على استقلال ذلك الشعب العظيم المجيد، فالشاعر قد اكد في البيت الثاني على ان قدسية تلك البقاع الطاهرة"الجزائر" قد انبثقت من شرف دفاع أهلها عن حماها، وذودهم عنه بأرواحهم غير مبالين بالموت، ولا آبهين بالرصاص.

لقد وظف الشاعر الجزائري "مفدى زكريا" الحقول الدلالية ذاتها في التأكيد على نظرته الإيجابية لثورة شعبه المجيد، فالجزائر قد استحالت في ثنايا تلك التجربة العظيمة إلى" رسالة/ قطعة قدسية لحنها الرصاص/ قصيدةأزلية أبياتها حمراء" فالدوال السابقة تنتمي إلى الحقول الفنية الإبداعية التي سُطرت بالدماء والرصاص، وتخلقت في رحم الحرب والفناء والسلب والعدوان. إن ذلك السلب الذي اعتمل في أرجاء الجزائر لم يزد ذلك الشعب الأبي العظيم إلا قوة وبسالةً في الدفاع عن أراضيهم وحماهم، فتلك الألحان العذبة التي تنساب من بين سطور الرسائل والقصائد والأنشودة قد:

نظمت قوافيها الجماجم في الوغى		وسقى النجيع رويها فتدفعا

إن ذلك الكيان النفيس لتلك البقعة الفريدة قد استحال طاقة سحرية تبعث الحياة في البلى، وتحيي النفوس في رمسها، وتفعل بها المعجزات:

سمع الأصم رنينها فعنا لها		وراى بها الأعمى الطريق الأنصعا

ولعل التأكيد ههنا ينصرف إلى بيان قوة ذلك النداء السحري الذي يفعل الأعاجيب بأهل الجزائر، ويؤكد الشاعر على ذلك الصنيع من خلال "التكرار" للبنية النحوية نفسها، فنراه يقول:

ودرى الألى جهلوا الجزائر أنها		قالت:" أريد" فصممت أن تلمعا
ودرى الألى جحدوا الجزائر أنها		ثارت، وحكمت الدما والمدفعا

فقد استعمل الشاعر في البيتين السالفين البنية النحوية ذاتها، ويؤكد كذلك على كون ثورتهم المجيدة صانعة للمعجزات، فنراه يقول من قصيدته"الذبيح الصاعد":

ويقول من القصيدة نفسها مؤكدا على تلك المجالات الدلالية:

احفظوها زكية كالمثاني		وانقلوها للجيل ذكرا مجيدا
وأقيموا من شرعها صلوات		طيبات ولقنوها الوليدا

فالشاعر يؤكد في البيتين السالفين على المجالات الدلالية ذاتها التي وصف بها بلاده .

ذاتها، كما وظف التكرار في الكلمات ليؤكد على أن الفعل السلبي نفسه الذي اعتمل في ذات"الآخر" وكيانه قد انبثق عنه فعل إيجابي يتسم بالنصاعة والقوة والبروز" فصممت أن تلمعا/ حَكَّمَتْ الدَّما والمدفعا".

لقد انصرفت المجالات الدلالية التي استقى منها الشاعر مادته للتعبير عن بلاده إلى حقول عدة توزعت ما بين(القداسة/ والفن/ والحرب). الأمر الذي ألح عليه الشاعر"مفدى زكريا" في قصيدته الموسومة بعنوان"الذبيح الصاعد"، فنراه يقول:

ويؤكد الشاعر على نفسية ذلك الشعب الأبي وسلوكه الذي انهزم به المستعمر أمامه، فنراه يقول:

واستضعفوه فقرووا إذلاله فأبت كرامته له أن يخضعا

واستدرجوه، فدبروا إدماجه فأبت عروبته له أن يبلعا

وعن العقيدة زوروا تحريفه فأبى مع الإيمان أن يتزعزعا

لقد وحد الشاعر جواب الشرط وبنية الأبيات النحوية في الأبيات السابقة ليؤكد على حالة "التحدي والإباء".

ولعل من الملاحظ أن الشاعر قد أدرج عُظم أفعاله في صيغة الماضي ليؤكد على حصول حالة الدفاع والإباء والقوة، واستقرارها في نفسية ذلك الشعب العظيم.

لقد حرص الشاعر على استعمال جملة الشرط بكثرةٍ لافتةٍ في القصيدة، ليؤكد على حالة الاستنفار، ويصور كذلك ثورة هذا الشعب وغيرته على حمى تلك الربوع المقدسة، فكل تلك الأفعال التي تدشن حالة من السلب والعداء على الجزائر لا تُقابل إلا بحالة استنفارٍ قصوى دفاعًا عن ذلك الكيان الفريد.

أسلوبية التناص intertextualité Stylistic:

لقد اتكأ الشاعر مفدى زكريا على أسلوبية التناص، مفجرًا بذلك طاقات النص التعبيرية، فالشاعر لن يستدعي تلك الدوال التراثية إلى بنية قصيدته فحسب، بل سيحملها بدوره دلالات تعبيرية جديدة وثرة من خلال ذلك التكوين الأسلوبي المائز، فنراه يقول من قصيدته" ألا إنَّ ربك أوحى لها":

هو الإثم زلزل زلزالها ف(زلزلت الأرض زلزالها)

وحملها الناس أثقالها ف(أخرجت الأرض أثقالها)

وقال ابن آدم في حمقه يسائلها ساخرا: (ما لها)

فلا تسألوا الأرض عن رجة تحاكي الجحيم وأهوالها

ألا إن إبليس أوحى لكم ألا(إن ربك أوحى لها)

لقد أحال الناص إلى الآي القرآنية، ولكنه لم يشر بها إلى المجال الدلالي ذاته التي انسلخت منه، وقد جاء بها إلى بنية القصيدة ليؤكد على فاعلية الحدث السلبي في التدمير والهدم، وأن الفعل الإنساني المنهزم المترع بالأنانية والسلبية والعدوان هو سببٌ رئيسٌ لكل ما تعانيه الأرض من دمار وخراب قد حل ببعض أرجائها. ويستدعي

الشاعر "مفدى" إلى المشهد الشعري "صلاح الدين الأيوبي" ويؤطر لهذا الوجود التراثي في مطلع قصيدته، فنراه يقول:

هكذا يفعل أبناء الجزائر يا صلاح الدين في أرض الجزائر

إن أسلوبية التركيب"أبناء الجزائر" تتماثل مع" أرض الجزائر" الأمر الذي يحيل إلى حالةٍ قصوى من الانتماء والتجذر، ويأتي أسلوب الاعتراض الذي يتناص فيه الشاعر مع شخصية تاريخية تعد مثالًا فريدًا نادرًا في التاريخ على القوة والانتماء والفاعلية، يبرز بدوره تأكيد الشاعر من خلال التماثل التركيبي السالف. ويلجأ الشاعر كذلك إلى توظيف التناص مع تلك الشخصيات التاريخية التي كانت تمثل أيقونة للفداء والتضحية، فيتناص مع شخصية"السيد المسيح" في قصيدته" الذبيح الصاعد"، فيقول:

قام يختال كالمسيح وئيدا يتهادى نشوان يتلو النشيدا

لقد كرس الشاعر لشخوصه الذين يتناص معهم موقع البداية ، فيدشن افتتاحية تلك القصائد من خلالهم، الأمر الذي يمنح دفقة شعورية بالغة للمتلقي، ويهيئ ذهنيته لموضوعها. إن تلك الشخوص التي ترتسم أسماؤها في المطلع تحدد بدورها الحقل الدلالي الذي ستتبني القصيدة من خلال مفرداته، فالشاعر في تلك القصيدة قد استدعي دوال دينية تاريخية، نحو:"الملائك/ الكليم/الروح/ ليلة القدر/مذبح البطولة/ المؤذن" إن تلك المفردات تؤطر لحالة من الطهر والنقاء والفاعلية والتجاوب التي يريد الشاعر أن يستحضر من خلالها صورة الفدائي الذي قدم حياته تخليصًا لوطنه من الاستعمار الغاشم الأثيم.

أسلوبية الاعتراض:

لقد وظف الشاعر مفدى زكريا في قصيدته"اقرأ كتابك" طاقات أسلوب الاعتراض بفاعلية، فنراه يقول:

ودرى الألى ،جهلوا الجزائر، أنها قالت: أريد ، فصممت أن تلمعا

ودرى الألى، جحدوا الجزائر، أنها ثارت وحكمت الدما والمدفعا

لقد استعمل الشاعر الجملة الاعتراضية بالتركيب النحوي نفسه دون تغير يطرأ على بنيتها، وقد بدل في الأفعال التي استقاها من الحقل الدلالي ذاته، ومن الملاحظ أن

الفعلين"جهلوا/ جحدوا" يعبران عن حالة تراتبية من العداء الذي استكن في قلوب أولئك المستعمرون، فالجهل قد أفضى إلى مرحلة قصوى من السلب تمثلت في الجحد الذي يمثل حالة عمدية قد تحققت في كيانات العدو.

المراجع:

- معجم البابطين لشعراء القرنين التاسع عشر والعشرين، طبعة مؤسسة البابطين الكويت.
- أحمد درويش، دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، دار غريب، القاهرة 1998م.
- موسى ربابعة، الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، دار الكندي، الأردن 2003م.
- إبراهيم خليل، الأسلوبية ونظرية النص، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1997م.
- عشتار داوود، الأسلوبية الشعرية، دار مجدلاوي، عمان 2007مز